المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.59151/.v7i4.334

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 3-8-2023
تاريخ القبول: 3-9-2023

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في علوم الوحي والدراسات الإنسانية

المنعطف التأويلي في نظرية العقل الموضوعي عند كارل بوبر[1]

عبد الهادي بوالباروض[2]

boulbaroudttt@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى معالجة إشكالية البعد الإبستمولوجي في التأويل من خلال نظرية العقل الموضوعي عند كارل بوبر، ومن بواعث إثارة هذا الموضوع الوقوف على السيرورة التأويلية في منظومة العقل الموضوعي والدور الوظيفي للغة المنضوية تحته، وذلك عبر الوقوف في البداية على السياق التاريخي للفعل التأويلي، وحضوره في العقل الموضوعي بناءً على مقاربة بوبر، وانتقل البحث إلى الحديث عن العوالم الثلاثة باعتبارها الركائز المؤطرة لسيرورة المعرفة الإنسانية بمختلف أنماطها، ثم ناقش العلاقة التفاعلية بين العوالم الثلاثة وأثرها في البناء الموضوعي للفهم، هذا الأخير سيتحول بدوره إلى قضية إبستمولوجية كما ناقشها بعض الرؤى في ثنايا البحث قصد تعزيز الممارسة النقدية في التأويل، في حين تحيلنا الفكرة الأخيرة إلى إبراز الخاصية التطورية المميزة للفهم والعقل الموضوعيين. وأهم ما يستنتج من البحث أن دعوى بوبر حول الآليات والقيم الإبستمولوجية في التأويل، تحث على إثارة مزايا التأويل ودوره الفعال في تعزيز فهمنا التاريخي والحضاري، الأمر الذي دفع إلى التأكيد على الأهمية الإبستمولوجية لتحصين السيرورة التأويلية.

الكلمات المفتاحية:

العقل الموضوعي، الهيرمينوطيقا، الفهم، كارل بوبر، المعرفة الموضوعية.

(1) (1902-1994) (Sir Karl Raimund Popper)فيلسوف وأكاديمي نمساوي -بريطاني.

(2) طالب دكتوراه في تخصص فلسفة العلوم وتاريخها. جامعة ابن طفيل، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - القنيطرة (المغرب).

للاقتباس: بوالباروض، عبد الهادي، المنعطف التأويلي في نظرية العقل الموضوعي عند كارل بوبر، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج7، ع4، 2023، 74 - 99

© نشر هذا البحث بموجب ترخيص (CC BY-NC4.0) المفتوح، الذي يسمح لأي شخص تنزيل البحث وقراءته والتصرف به مجانًا، مع ضرورة نسبته إلى صاحبه بطريقة مناسبة، مع بيان إذا ما قد أُجري عليه أي تعديلات، ولا يمكن استخدام هذا البحث لأغراض تجارية.

OPEN ACCESS
Received: 2023-8-3
Accepted: 2023-9-3

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في
علوم الوحي والدراسات الإنسانية

The Hermeneutical Turn in the Theory of the Objective Mind of Karl Popper[3]

Abdelhadi Boulbaroud[4]

boulbaroudttt@gmail.com

Abstract:

This research seeks to address the problem of the epistemological dimension of interpretation through Karl Popper's theory of objective reason. One of the motives for raising this topic is to examine the interpretive process in the objective reason system and the functional role of the language that is included under it, by initially examining the historical context of the interpretive act and its presence. In the objective mind, based on Popper's approach, the research moved on to talking about the three worlds as they are the pillars framing the process of human knowledge in its various types, and then discussed the interactive relationship between the three worlds and their impact on the objective structure of understanding. The latter, in turn, will turn into an epistemological issue, as discussed in some insights. The research aims to enhance critical practice in interpretation, while the last idea refers us to highlighting the distinctive evolutionary characteristic of objective understanding and reason. The most important conclusion from the research is that Popper's claim about epistemological mechanisms and values in interpretation calls for raising the advantages of interpretation and its effective role in enhancing our historical and cultural understanding, which prompted an emphasis on the epistemological importance of fortifying the interpretive process.

Keywords:

Objective Mind, Hermeneutics, Understanding, Karl Popper, Objective Knowledge

(3) Sir Karl Raimund Popper (1902-1994)) An Austrian-British philosopher and academic

(4) PHD student in philosophy and history of science. Ibn Tofail University, Faculty of Humanities and Social Sciences - Kenitra (Morocco).

ite this article as: Boulbaroud, Abdelhadi, The Hermeneutical Turn in the Theory of the Objective Mind of Karl Popper, Journal of Namaa, Nama Center, Egypt, V 7, issue 4, 2023, 74 - 99

© This research is published under an open license (CC BY-NC 4.0), which allows anyone to download, read and use the research for free, provided it is properly acknowledged, indicating if any modification has been made to it. This research shall not be used for commercial purposes.

مقدمة:

يشكل المنعطف التأويلي إحدى الحلقات الأساسية في نظام المعرفة الموضوعية عند كارل بوبر، وذلك في محاولة منه لتجاوز منطق المعرفة القائمة على الاعتقادات الذاتية، حيث طالما سعى من جهة إلى تشييد طريق نحو نظرية عامة حول الدافع الإنساني يتخطى اختزال السلوك البشري، إما إلى دوافع نفسية وبيولوجية صرفة، وإما إلى عوامل اجتماعية وبيئية خالصة. وسعى من جهة أخرى إلى طرح مشكلة الفهم في أبعادها الإبستمولوجية[5] بوصفها قضية فلسفية-تأويلية تنتمي إلى نظرية العقل الموضوعي.

إذا نظرنا إلى مشروع كارل بوبر الإبستمولوجي في كليته نرى أنه يتميز بالموسوعية؛ حيث تجاوز اهتمامه حدود فلسفة العلوم والمنهج إلى مجالات أخرى كاللغة والسياسة والمجتمع والتاريخ وغيرها من الموضوعات. لكن أكثر ما اشتهر به فيلسوف العلم النمساوي هو اهتمامه بالمنهجين العلمي والنقدي، واعتراضه على النزعات الدوغمائية والوضعانية المنغلقة على أنساق ضيقة، والتي يضمنها في نطاق ما يسميه بأسطورة الإطار. ففي الوقت الذي حصرت معظم الدراسات والبحوث المنجزة حول بوبر مشروعه في نطاق السجال مع الوضعية المنطقية والمنهجين العلمي والاستقرائي، وكما يبدو ذلك واضحًا في كتاباته «الرئيسة» التي اشتهر بها بوبر من قبيل «منطق البحث العلمي»، و«التخمينات والتفنيدات»، تولدت عندنا فكرة الكشف عن أحد الجوانب المهمشة في مشروعه الإبستمولوجي عامة، والهيمينوطيقي على وجه الخصوص، ساعيين إلى نفض الغبار عنها، ويتعلق الأمر بالمسألة التأويلية ومشكلة الفهم وأبعادها الإبسمولوجية. يجري اليوم وكما هو معلوم، أن قضية التأويل حازت مكانة مهمة في مختلف مجالات الفكر الإنساني الراهن. من هذا المنطلق نهدف إلى البحث في النظرية التأويلية وامتداداتها الإبتستمولوجية. لذلك، إن سعينا في هذه السطور مدفوع برغبة نحو مقاربة المستوى الهيرمينوطيقي Hermeneutic في نظرية العقل الموضوعي عند كارل بوبر، كما يطرحها ضمن القضايا الأساسية في مؤلفه الموسوم بـ«المعرفة الموضوعية»[6] Objective Connaissance La، ونصبوا

(5) الإبستمولوجيا Épistémologie هي الدراسة النقدية لمختلف مبادئ وفروض ومناهج ونتائج العلوم، وهي أحد الفروع الرئيسة في الفلسفة يتوجه اهتمامها نحو البحث أيضًا في أصول المعرفة العلمية وتكوينها وقيمتها الموضوعية.

(6) هذا المؤلف في الواقع هو مقالات ومباحث مختلفة تتوزع على قضايا المنهج واللغة والفهم-التأويل التاريخي والمعرفة العلمية من حيث كونها أنشطة إنسانية تطورية. ففي اللغة عرض بوبر تفصيلًا لمستويات اللغة ووظائفها. ومن حيث الهيرمينوطيقا قدم فهمًا للسلوك البشري والأحداث في العلوم الاجتماعية والتاريخ والعلوم الإنسانية. بينما فيما يخص المنهج، وإلى جانب المشكلة الاستقرائية، وقف لوصف مخطط النشاط التأويلي الذي بإمكانه ردم الصدع المفتعل بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، وغيرها من الموضوعات المعرفية التي شغلت اهتمام كارل بوبر.

إلى بسط ومناقشة هذه القضية (المنعطف التأويلي في نظرية العقل الموضوعي عند بوبر) وفقًا لمنهج تحليلي ونقدي. لعل ذلك يجعل من موضوع هذا البحث قضية ذات قيمة موضوعية وواقعية. ولا سيما أن هذه القضية اليوم، ولما لها من امتداد –ولا سيما الموضوعات المرتبطة بشكل مباشر بالإنسان- في مختلف المجالات، تضع المهتمين بها من مفكرين ولاهوتيين وغيرهم أمام صعوبة وضع معالم واضحة للتأويل وأمام تحدي تقعيد مبادئ محكمة يمكن من خلالها ممارسة الهرمينوطيقا بضوابط معينة وبآليات من شأنها أن تسهم في فهم القضايا الوجودية والمعرفية والقيمية، وذلك في ظل الصراع المعرفي والأيديولوجي وأشكال التلقي للأفكار والوقائع، وفي سياق تحديات التعايش الإنساني. بينما المفارقة الأساسية التي تفترض المعالجة الإبستولوجية، تنصب على مدى إمكانية تحقق الموضوعية في التأويل، ومدى فعاليتها لتغدو حلًّا ممكنًا لتجاوز المنطق العلموي الصارم والكشف عن عوائق نجاحها في هذا المسعى الموضوعي، وهو ما يطرح تحديًا منهجيًّا أمام الهرمينوطيقا، خاصة في خضم وجود أهداف من طرف آخر لاتخاذها منهجًا في حد ذاتها. إن التحدي المطروح أمام الهرمينوطيقا في الوقت الراهن، يضعها في منطقة غامضة وغير واضحة المعالم. إن الأمر نفسه ينطبق على مفهوم كارل بوبر حول العقل الموضوعي، نظرًا لما يعترضه من صعوبة رسم الحدود الإبستمولوجية وإرهاصاته الهرمينوطيقية. أمام هذا المعطى المركب وعلى ضوء ما سبق تحضر العديد من التساؤلات من قبيل: ما الهرمينوطيقا؟ ما تجلياتها في مفهوم العقل الموضوعي البوبري؟ بأي معنى يستقيم الحديث عن الأبعاد الإبستمولوجية في الممارسة التأويلية لدى كارل بوبر؟ وإلى حد يمكن أن يغدو الفهم موضوعيًّا؟ وما رهانات التأويل ضمن الممارسة النقدية في العقل الموضوعي لدى كارل بوبر؟

أولًا: الفعل الهيرمينوطيقي في العقل الموضوعي

إن الحديث عن الهيمينوطيقا، سيدفعنا من الناحية المنهجية إلى إلقاء نظرة خاطفة حول سياقها الدلالي والاشتقاقي. جاء مفهوم هيرمينوطيقا من كلمة (هرمس) وهو لفظ يرجع تاريخيا إلى الإغريق قديمًا كإشارة إلى هرمس الشارح والمفسر، رسول الآلهة. فالهيرمينوطيقا تقليد قديم يهتم بالنشاط الإنساني ومشكلاته ويسعى إلى إدراكها وحلها، عرف اللفظ (هيرمينوتيك) تطورات من حيث الوظائف والمعاني التي استخدم من أجلها كتفسير النصوص الدينية في العصر الوسيط وتحول لاحقًا إلى مبحث أو نظرية التأويل وفن الفهم. إن الهيرمينوطيقا بصيغة أخرى، منهج/فن للتأويل والفهم نشأ عن محاولات تفسير القضايا والأفعال والنيات والمقاصد البشرية لما تحمله من معانٍ ودلالات خفية،

لكنها ذات علامات لغوية تتيح إمكانية القراءة والتعبير. بينما اليوم، وكما يذهب إلى ذلك العديد من الباحثين المهتمين بالشأن التأويلي، تحولت الهيرمينوطيقا إلى مشروع فلسفي حول التأويل وفن الفهم للتجربة الإنسانية كما هي محفوظة في الذاكرة الإنسانية والحضارية كالتاريخ والأدب والفنون والمعرفة العلمية ومختلف النظم البشرية، ويطلق عليها «فلسفة التفسير» بحيث تفحص هذا الأخير من حيث طبيعته ونطاقه وأسسه وصلاحيته. وتتعامل الهيرمينوطيقا مع التفسير في سياق الأسئلة الفلسفية الأساسية حول الوجود والمعرفة، واللغة والتاريخ، والفن، والحياة في مختلف أبعادها.

كما يرتبط اسم هرمس بوظيفة أساسية وهي فعل الترجمة، أي ترجمة ما يجاوز الفهم الإنساني إلى شكل صورة يمكن للعقل البشري إدراكها من خلال تحويل الشيء أو الفكرة خارج نطاق الفهم إلى مجال الفهم. والترجمة تتصل بالتفسير أيضًا، فهذا الأخير يمثل أحد العناصر الأساسية الملازمة لتكوين نظرية هيرمينوطيقية متكاملة. والتفسير يمس جوهر التفكير الإنساني، حتى أن الوجود ذاته ربما لا يكون في النهاية سوى عملية تفسير مستمرة. وسيرورة الوجود الإنساني لا تنفصل عن اللغة، فأي نظرية للتفسير والتأويل لا بد أن تتصل بظاهرة اللغة؛ لأنها تشكل فكر الإنسان ومفهومه عن ذاته، وعن عالمه. ومن هذا المنطلق، فإن الهيرمينوطيقا تدرس الفهم بوصفه ظاهرة إبستمولوجية وأنطولوجية، إنها دراسة لفهم الأعمال الإنسانية، مما يمكنها من تجاوز الأشكال اللغوية للتفسير، تتميز بمبادئ تتخطى الإبداعات المكتوبة لتشمل أيضًا الأعمال الفنية وغيرها. وهو ما يضعها في موقعة أساسية بالنسبة لكل العلوم الإنسانية التي تهتم بتفسير إبداعات الإنسان وصولًا إلى فهم أفضل لها[7].

وتمثل موضوعة التأويل في وقتنا الحاضر –كما كانت قديمًا- أهم القضايا التي تطارحها الفلاسفة والمتكلمون وغيرهم، مما يجعل منها المنحى الرئيس الذي اتجهت نحوه كثير من التيارات والبحوث الفلسفية والعلمية التي انصبّت على فهم قضايا الإنسان كلها. وضمن هذا السياق، جاءت هذه الالتفاتة الكبيرة من قبل المفكرين نحو التأويل وأهميته في سياق تراجع أنماط التفكير الدوغمائي، وكذا تراجع الفلسفات المعيارية والذاتية حيال الحقيقة لصالح التيار النقدي والتفكير النسبي والحوار والتداول المشترك في قيام المعرفة وفقًا للقيم الإبستمولوجية وقواعدها.

(7) صفاء عبد السلام على جعفر، هيرمينوطيقا (تفسير) الأصل في العمل الفني دراسة في الأنطولوجيا المعاصرة، الإسكندرية، منشأ المعارف، 2000، ص 24-25.

تعرض كارل بوبر لنظرية الفهم والتأويل كنظرية فعلية مثل كل النظريات الأخرى. ومن الممكن -على حد تعبيره- إثارة ومناقشة مزايا التأويل خصوصًا من حيث دوره وقيمته لفهمنا التاريخي. فهي على العموم نظرية ضمن النظريات المصنفة في العالم الثالث[8]. هذه المسألة المتعلقة بتصنيف التأويل ضمن النظرية العلمية، كان لا بد من كشف الستار عنها وقراءتها ضمن السياقات المعرفية الجديدة وبيان إسهاماتها في مجال الهيرمينوطيقا. لقد مارس بوبر بمعنى من المعاني تأويلًا إبستمولوجيًّا على المعرفة الإنسانية خاصة في بُعدها التاريخي والطبيعي، ونلمس ذلك بوضوح في نظريته حول العقل الموضوعي. تلك النظرية التي أبطل فيها الثنائية الكلاسيكية المعروفة بالروح والجسد. وهو الأمر الذي نلمسه في كتابه المشترك مع البيولوجي وعالم الدماغ جون إكلس[9] تحت عنوان «النفس ودماغها». فبوبر أحدث تحولًا لتجاوز ما بات يعرف اليوم بالعلوم المعرفية وعلوم الذهن. لقد أضاف إليها عالمًا ثالثًا وهو عالم العقل الموضوعي الناتج عن العالمين المادي والعقلي. إن منطلق الجدل في البناء المعرفي الإنساني برمته، يتموضع ضمن سياق التفاعل بين الحالات الإدراكية–الواعية عند الإنسان والعالم المادي وتأثرهما في العالم الثالث، عالم الفكر والثقافة والإبداع البشري. ففي وسط هذا التمفصل (تفاعل- استقلال) تكمن المشكلة التأويلية-الإبستمولوجية (الهيرمينوطيقية) التي يحاول البحث عرضها.

حقًّا إن الفعل الهيرمينوطيقي ليس وليد العصر الراهن، إنما هو نمط فكري مارسه الفلاسفة منذ زمن بعيد. والهيرمينوطيقا اليوم أعيد لها الاعتبار وتم إحياؤها كأسلوب ممكن لفهم القضايا الإنسانية ولا سيما المركبة منها، فقبل أن يشهد التأويل هذا الاهتمام من قبل المفكرين المعاصرين، كان قد حظي بعناية بالغة في إحدى أهم لحظات الفكر الإنساني والفلسفي مع فلاسفة اليونان، خاصة مع صاحب الأكاديمية الفيلسوف الإغريقي (أفلاطون) الذي خصص محاورة كاملة للتأويل. فمحاورة (أيون) تُعدُّ -تقريبًا- من أقدم النصوص التي تدور حول الهيرمينوطيقا، تعلمنا منها أهمية التأويل ووظيفته، وما قدمه لنا حول اللغة وعلاقة الكلمات بالأشياء، وبعد أفلاطون، وضمن تلميذه أرسطو في الإسهامات التي

(8) يمثل العالم الثالث عالمًا يتضمن كل المحتوى الموضوعي للمعرفة الإنسانية من فكر ونظم سياسية اجتماعية وفلسفة ونظريات علمية وغيرها من إنتاجات العقل البشري. أما العالم الأول، أي فيتحدد في كل ما يشمل الموضوعات المادية والأشياء. بينما العالم الثاني مرتبط بالحالات الواعية والسيكولوجية ذي صلة بالذات. ويحيل العالم الثالث هنا إلى العالم أو العقل الموضوعي. لذلك فإن توظيفنا لمفهوم العالم الثالث لا يختلف عن توظيفنا لمفهوم العقل الموضوعي أو المعرفة الموضوعية، وهي مصطلحات مقتبسة من المعجم الفلسفي لكارل بوبر، تعرض لها في كتابه «المعرفة الموضوعية» خاصة في الفصلين الثالث (إبستمولوجيا بدون ذات عارفة)، والرابع (حول نظرية العقل الموضوعي).

(9) John Carew Eccles (1903-1997) طبيب وفيزيولوجي أسترالي، نال جائزة نوبل للطب عام 1963 حول بحوثه الخاصة بالتشكيلات العصبية.

أضافها في هذا المجال، ظهر التأويل في العصور الوسطى مع محاولات تفسير النصوص الدينية وفهمها. إن مبحث التأويل بهذا المعنى، قديم وجديد في الآن نفسه، حيث شهد تحولات مهمة ومنعطفات. والحديث عن الهيرمينوطيقا بشكل واضح، لم يتبلور كفن للفهم قائم بذاته إلا في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر مع فيلسوف اللاهوت الألماني فريدريش شلايرماخر الذي أحدث انعطافًا نوعيًا في تاريخ الهيرمينوطيقا. وبعد ذلك بقليل عمل تلميذه دلتاي على تطوير ما قدمه شلايرماخر في المجال ذاته من خلال الإضافة الإبستمولوجية وأهمية التأويلات المنهجية في حقل العلوم الإنسانية. كما عرف التأويل صيغة جديدة خلال الفترة المتأخرة من خلال الإسهام الفينومنولوجي مع مارتن هايدغر وثورة جورج غادامير في كتابه «الحقيقة والمنهج». ثم جاءت أعمال الفيلسوف الفرنسي بول ريكور التي شكّلت إضافة مهمة في الحلقة التأويلية. كل هذا المسار الطويل للهيرمينوطيقا يؤكد على فعالية وغنى التجربة التأويلية. «ويلاحظ فاتيمو[10] أن كل العناوين الفلسفية الراهنة تنخرط تحت الهيرمينوطيقا بما في ذلك (التفكيك) الذي يظل -رغم نظريات اللاشعور واللامعنى- إقليمًا تأويليًا في غاية الدقة والحنكة. والتأويل كما يرى فاتيمو لم يعد محصورًا في الفروع المعرفية التي وصلت إلينا منذ شلايرماخر ودلتاي والمتمثّلة في اللاهوت (التأويل الديني) والحقوق (التأويل القانوني) والأدب (التأويل الرومانسي) والفكر (التأويل الفلسفي)، وإنما أصبح تأويلًا عالميًا يخصّ التجربة الإنسانية في رمتها وينحو صوب الوصف الدقيق والتنوّع الخلّاق فضلًا عن اختلاف الدلالات ورؤية الموضوع من مراصد مختلفة»[11].

إن مسيرة التأويل من الناحية الكرونولوجية طويلة وتتضمن تفاصيل لا يتسع المجال لاستحضارها كلها وعلى الرغم من أهمية ذلك. وفي علاقة بموضوع المقال، ناقش بوبر كلًّا من الفيلسوف الألماني والمؤرخ الأدبي فلهام دلتاي في حدود التأويل ومواطنه إدموند هوسرل في ذاتية الفهم وأبعاده السيكولوجية، كما ناقش بوبر كولينجود في قضية الفهم التاريخي. جادلهم كلهم في مختلف أطاريحهم المرتبطة بقضية الفهم والإشكالات المرتبطة به. إن موضوع هذه السطور هو في الواقع ليس موضوعًا مباشرًا في الفهم والتأويل فقط بقدر ما يمثل مناقشة في الحدود والأبعاد الإبستمولوجية للفهم وموضوعيته، كنظرية علمية يطالها الدحض والتفنيد بصيغة كارل بوبر. إن الممارسة التأويلية بامتدادها التاريخي في الوجود الإنساني

(10) جياني فاتيمو Gianni Vattimo فيلسوف وسياسي إيطالي (1936-2023) من مؤلفاته: «نهاية الحداثة». ويعد من المفكرين المهتمين بالفلسفة التأويلية خلال الألفية الثالثة.

(11) محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر العربي المعاصر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2002، ص، 17.

لها أسس معرفية وآليات إبستمولوجية تشتغل بها. لقد أخبرنا كارل بوبر في كتابه «المعرفة الموضوعية» أن كل العلوم والمعارف الإنسانية وجميع أشكال الإبداع البشري قائمة على التأويل والتفهم وعلى أنشطة التواصل البينذاتي؛ كلها أنماط وجودية ومعرفية صيغت في عبارات لغوية وقوالب رمزية ومنطقية.

تلك بعض العوامل التي ستجعل من الفعل الهيرمينوطيقي مطلبًا أساسيًّا في جميع الحقول المعرفية، ومع التطور العلمي الراهن وغزارة المعارف البشرية وتعاقب المناهج وتغيرها المستمر، لم يعد من الممكن الحديث عن الحقيقة المطلقة والفهم النهائي، فلا مجال من مجالات الثقافة والمعرفة الإنسانية ينأى عن مظاهر النسبية، كما لا يخلو من أفعال المحاولات والأخطاء. إن العلم الذي كان يُنظر إليه على أنه موضع الحقيقة المطلقة، سيظهر لاحقًا أنه لا يفتقر إلى مظاهر الذاتية ما دامت مناهجه ليست ثابتة وتتغير باستمرار، ويكشف ذلك عن نسبية المعايير العلمية التي تنطلق منها النزعات العلمية. ووفقًا لكل هذه الظروف، وأمام مختلف التفاعلات بين التأويل وأشكال المعرفة البشرية وعوامل أخرى، أضحت أطروحة التأويل، تنهل آلياتها من صميم المبحث الإبستمولوجي لفيلسوف مرموق من قبيل «كارل بوبر»، ذلك الإبستمولوجي الطامح إلى عالم أفضل، والذي أحدث طفرة نوعية داخل فلسفة العلوم في القرن العشرين باجتراحه لأدوات إبستمولوجية نقدية ومنطقية ولغوية، وإبداعه للقيم الإبستمولوجية في الفهم والتأويل.

في الواقع، جاء التيار الهيرمينوطيقي كتقليد فلسفي كبير وقديم ليحل مشكلات الفهم، لذلك تعد الهيرمينوطيقا من المباحث التي تعرضت بجدية لمسألة التأويل وجعلته ضمن مبادئها وغاياتها. في سبيل تحقق هاته الغاية كان لا بد من الوقوف عند إسهام بوبر من خلال الكشف عن الآليات الإبستمولوجية في التأويل. إن مقاربة القيم الإبستمولوجية في التأويل، يحيلنا قبل كل شيء، على إحدى القضايا أساسية في طبيعة المعرفة العلمية والإنسانية وخاصيتها التطورية. فقد تناول بوبر مسألة التأويل والفهم كما أشرنا للتو في كتابه «المعرفة الموضوعية». ونقرأ لبوبر في هذا السياق تعبيرًا يقول فيه: «إن كنت قد عرضت هنا بعض الأسباب لإقرار الوجود المستقل للعالم الثالث الموضوعي، فذلك لأنني آمل أن أسهم في نظرية الفهم (في الهيرمينوطيقا l'herméneutique) التي تطرق لها الكثير من المهتمين بدراسة الإنسانيات، والعلوم الأخلاقية، أو علوم الروح. وسأنطلق هنا من الفرضية التالية: إن فهم الأشياء التي تنتمي إلى العالم الثالث الذي يعد القضية المحورية للدراسات الإنسانية، فرضية كما نراها، تنحرف جذريًّا عن العقيدة الأساسية المقبولة من طرف جميع أولئك الذين يدرسون العلوم

الإنسانية، وخاصة أولئك المهتمين بمشكلة الفهم. أعني بذلك تحديدًا، العقيدة القائلة بأن موضوعات فهمنا تنتمي أساسًا إلى العالم الثاني أو ينبغي بأي طريقة تفسيرها بمصطلحات نفسية [ذاتية]»[12].

ثانيًا: فكرة العوالم الثلاثة والبناء الموضوعي للفهم

شكلت فكرة العوالم الثلاثة أو نظرية العقل الموضوعي المنطلق الأساس في سيرورة المعرفة الموضوعية، ومن أبرز القضايا الإبستيمولوجية التي طرحها كارل بوبر في متنه، خاصة ما يرتبط باللغة وصلتها بمشكلة الفهم كموضوع احتل مجالًا مهمًا في فلسفة بوبر الذي قال: «لكن ما يشد اهتمامنا بشكل أساسي هي اللغة باعتبارها الأداة التحليلية والتأويلية في العالم [الثالث] الموضوعي»[13]. وفي حديثه عن نظرية العوالم الثلاثة، والتي قسمها بوبر على النحو التالي: أولًا: عالم واقعي، عالم الأشياء الفيزيقية أو حالات مادية. ثانيًا: عالم الذات والحالات العقلية أو الواعية. أما العالم الثالث فهو عالم موضوعي، يشمل محتويات ومنتوجات العقل البشري من اللغة والمعرفة والثقافة والفن والنظريات العلمية والتاريخ، أي: كل ما يتضمن المواضيع الفكرية، خاصة مواضيع التفكير العلمي والسياسة والفن وما إلى ذلك[14]. وفي العالم الثالث الموضوعي تتبوأ اللغة محوره كونها وعاء لمختلف قضاياه المطروحة للمناقشة النقدية Propositions والمفتوحة على رهان التأويل.

وللتوضيح أكثر، إن العالم الأول يتكون من أشياء مادية فيزيائية، كيميائية بيولوجية. أي: أنه يتضمن كل الوسائل المادية التي نلمسها، مثل الأحجار، النبات، الغازات وما يشبه ذلك. أما العالم الثاني يشمل كل تجاربنا السيكولوجية الواعية وغير الواعية. أي: التجربة الشعورية واللاشعورية ومن حالات العقل إلى الرغبات الذاتية، ومن المعتقدات إلى الذكريات. فيما يتحدد العالم الثالث في كل ما يخص منتوجات العقل الإنساني، كالكتب والنظريات والمشكلات العلمية والأعمال الفنية والمؤسسات الاجتماعية[15]. ويشكل العالم الثالث الموضوع الرئيس في هذا المقال، لكونه يمثل مسرحًا للفهم والتأويل الناتج عن عمليات ذاتية واعية (أنشطة العالم الثاني)، وبفضل هذه العمليات النشيطة للفهم يقع

(12) Karl Popper, La Connaissance Objective, une approche évolutionniste, Traduit de l'anglais et préfacé par Jean-Jacques ROSAT , (France), Flammarion, 1998, PP. 256-257.

(13) Karl Popper, Conjectures and Refutations, The Growth of Scientific, Knowledge, London, Routledge and Kegan Paul ,1963 , Fourth Ed, p, 63.

(14) Karl Popper, La Connaissance Objective, op, cit, PP, 181 – 182.

(15) لخضر مذبوح، فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، الجزائر، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2000، ص، 180.

تأثيرها على مستوى العالم الواقعي-المادي (العالم الأول). هكذا تستمر الأنشطة والعمليات في حلقة دائرية ويعمل العقل على تحويل العالم الواقعي إلى أفكار ونظريات جديدة ليطرحها في العالم الثالث بصياغات وعبارات وعلامات لغوية.

في الواقع، إن نظرية العالم الثالث ليست جديدة في تاريخ الأفكار بحيث كانت مطروحة من قبل أفلاطون فيما يطلق عليه بالصور أو المثل، وموجودة في نظرية الروح الموضوعي للفيلسوف الألماني هيجل. لكن أطروحة بوبر هاته، تختلف عن النظرية الأفلاطونية والهيجلية. بينما تتشابه إلى حد بعيد مع عالم فريجيه Frege[16] حول محتويات الفكر الموضوعي[17]. وفي كتابه مع البيولوجي جون إكلس «النفس ودماغها» يرى بوبر أن ما يميز مفهومه حول العالم الثالث عن سابقيه هو خاصية التطور والتغير وذلك -في اعتقادنا- يتماشى انسجامًا مع طبيعة أطروحته التطورية. عالم متغير باستمرار، عالم تحمله لغة قابلة للخطأ والصواب. كما أن العالم الثالث بمثابة موضوع للنقاش والمحاجّة النقديين لأنه من صنع وبناء الإنسان في صيغ نظريات ومفاهيم وحدوس افتراضية. في حين تتصور نظرية أفلاطون العالم الثالث بكونه يتصف من حيث مضمونه وحقائقه بالثبات واللازمنية، وذي مصدر إلهي. فهو يتكون من الصور forms أو الأفكار ideas أو الماهيات essences، وهنا يتبين الاختلاف الجذري بين أفلاطون وبوبر، فأفلاطون يؤكد أن العالم الثالث يستطيع تقديم التفسيرات في صورتها المطلقة والنهائية في نطاق ما يسمى «الماهيات»، في حين يعتقد بوبر أن مثل هذا العالم يقدم تفسيرات افتراضية على صورة حدوس وفرضيات قابلة للتجاوز والتعديل أيضًا. لقد وصف أفلاطون -حسب بوبر- عملية فهم الصور أو الأفكار على أنها نوع من الرؤية: فعيننا العقلية، عين الروح، قد وهبت حدسًا فكريًّا وبوسعها أن ترى الفكرة أو الماهية أو الشيء الذي ينتمي إلى عالم المعقولات. وما إن نتمكن من أن نراه، أو أن نفهمه، فإننا ندرك هذه الماهية: نستطيع أن نراها في ضياء الحقيقة. إنه حدس فكري معصوم من الزلل[18].

وعلى الرغم من القطيعة التي أحدثها بوبر مع التصور الأفلاطوني انطلاقًا من هذه النظرية الثلاثية للعالم إلا أن القاسم المشترك بينهما يتمثل في مشكلة الفهم. ذلك أن العالم الثالث هو موضوع في

(16) شكل غوتلوب فريجة الفيلسوف وعالم المنطق الألماني (1848-1925) منعطفًا لغويًّا عند طرحه لمشكلات فلسفة اللغة المتمثلة في علاقة العلامة بالمرجع، قبل راسل وفيجنشتاين، في حين رأى بوبر أن اللغة تصنف ضمن العالم الثالث، عالم العبارات والنظريات ونحوها.

(17) Karl Popper, La Connaissance Objective, op, cit, p, 182.

(18) كارل بوبر وجون إكلس، النفس ودماغها، ترجمة: عادل مصطفى، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2012، ص، 81 – 82.

التأويل من خلال العلاقات التفاعلية بين العوالم الثلاثة (الواقعي والذاتي والموضوعي) ويقوم العقل/ العالم الذاتي بدور الوسط في الفهم بين العالم الواقعي والعالم الموضوعي. ويبدو أن بوبر حتى لو كان يرفض التصور الأفلاطوني من حيث مضمونه، فإنه يقبله من حيث الشكل، ويرفض التسليم بوجود شيء يشبه الحدس الفكري، في المقابل يرى أنه بعيد عن المعصومية وأن خطأه يفوق صوابه. لكن من الانتقادات الموجهة لنظرية بوبر حول العقل الموضوعي وما يعاب عنها، هو كونها أطروحة ميتافيزيقية أكثر مما هي نظرية علمية.

لقد أولى بوبر للعالم الثالث اهتمامًا بالغًا؛ وذلك لكونه المجال الحيوي للنظريات العلمية وغيرها من إنتاجات العقل الإنساني، وهي صيغ لغوية ورموز منطقية وتخمينات قابلة للتفنيد والدحض واستبعاد الأخطاء. «ويتمثل النقد بكل تأكيد في البحث عن التناقضات واستبعادها، والصعوبة الناجمة عن لزوم وضرورة استبعادها تشكل مسألة جديدة. إن استبعاد الأخطاء يؤدي إذًا إلى معرفتنا الموضوعية. إنه يؤدي إلى نمو رجحان صدق حقيقة موضوعية، إنه يجعل من الممكن التقرب من الحقيقة المطلقة»[19]. هكذا يتميز العقل الموضوعي بسيرورة دائمة ونشاط متواصل، وهو ما يجعل الفهم في سيرورة وتغير نحاول دومًا تحصيله والاقتراب منه. كل هذه التحولات، والتي تميز الفهم تجعلنا نسعى دومًا وراء التأويل الموضوعي، ونروم من خلاله أن نرتقي بالوجود الإنساني إلى الأفضل، وبالتالي تقديم حلول للقضايا-المشكلات.

إن المهمة الرئيسة للعلم بالمعنى البوبري تكمن في تعزيز فهمنا للأشياء وليس بالضرورة تفسيرها، فالعمل العلمي هو نشاط عقلي إنساني يتمثل قدره في مطاردة القضايا والتقرب من حقيقتها، إنه نشاط تأويلي دؤوب. لذلك فإن تحصيل الفهم الكامل أمر بعيد المنال. في الواقع، «هو أمر يبقى إلى الأبد بعيد الاحتمال. وفضلًا عن ذلك فإن الفهم قد يكون خادعًا: لقد وقر في عقلنا قرونًا ما بدا لنا فهمًا كاملًا لآليات عمل الساعة حيث أسنان التروس يدفع بعضها بعضًا إلى الأمام. ثم تبين أن هذا فهم شديد السطحية، وأن دفع جسم مادي لجسم آخر إنما يحدث بواسطة التنافر فيما بين أغلفة الإلكترونات السالبة الشحنة الخاصة بذرات هذين الجسمين. على أن هذا التفسير وهذا الفهم هو أيضًا سطحي»[20]. وفي هذا السياق، يستحضر بوبر أحد أبرز رواد الفيزياء الكوانطية «نيلز بور» حيث اعتقد بدوره أنه في نظرية الكوانتوم علينا أن نتخلى عن الأمل في فهم موضوعنا. فالفهم الجزئي هو ما يمكن الوصول إليه،

(19) بوبر، النفس ودماغها، مصدر سابق، ص، 74.
(20) بوبر، النفس ودماغها، مصدر سابق، ص، 73.

وعلى هذا الأساس، علينا التخلي والثناء على الفهم الكلي أو التأويل في حالته النهائية. إن فهمنا من قبيل ما توهمنا يومًا أننا نحوزه في أمر الدفع الميكانيكي هو غير ممكن ولو كان الأمر بصدد الفيزياء[21]. وذلك خلافًا للتصور السائد مع العقل العلمي الكلاسيكي حيث ينظر إلى المعرفة في صورة اليقين والمطلق.

يقتضي الفهم في فلسفة كارل بوبر، الوقوف عند العلاقة التفاعلية بين العوالم الثلاثة، فالتفكير في موضوعات العالم الثالث هو نتيجة للتفاعل بين موضوعات العالم الأول (الفيزيائي)، والحالات النفسية والشعورية أو الذاتية[22]. أما نشاط الفهم، ينتج من خلال العلاقة السببية بين العوالم الثلاثة. إن العملية التواصلية بين الحالات العقلية والحالات الفيزيائية تنتج عنها موضوعات العالم الثالث. إنها مرتبطة إذن بعضها ببعض بطريقة تتفاعل فيها تفاعلًا متبادلًا زوجيًّا: العالم الثاني يتفاعل جدليًّا مع العالم الأول والعالم الثالث كليهما، في حين أن العالمين الأخيرين (الأول والثالث) لا يستطيعان التفاعل مباشرة لكن يمكنهما التفاعل فقط من خلال وساطة التجارب الذاتية والشخصية (العالم الثاني). هكذا يتميز العالم الثالث باستقلاليته الذاتية، وأنه موضوعي ولا يخضع كلية للحالات الذهنية، وبالرغم من ذلك فهو من إبداع النشاط الإنساني. إن وجهة نظر بوبر حول قاعدة هذا التأثير هي أن كل شيء يخضع لمبدأ «هات وخذ» Give And Take أو «أعط وخذ» بين أنفسنا. فمعرفتنا وعلمنا ينضوي تحت المنتوج الذي نسهم به في العقل الموضوعي ومن خلال التغذية الدائمة التي تستطيع أن تزيد بواسطة النقد الذاتي[23]. هذا التبادل بين الذوات والعالم الثالث هو ما يجعلنا نتطلع على الدوام لإنتاج الفهم والتأويل. فالمعرفة الموضوعية بالمفهوم البوبري ليست بنية ثابتة، ولا تقف عند حدود معرفة الماهيات بالمعنى التقليدي للمعرفة كما هو الحال في عالم المعقولات الأفلاطوني، إنها تتخذ مع كارل بوبر طابعًا تطوريًّا ومفتوحًا تكشف باستمرار عن إمكانات ومحاولات جديدة للفهم. يمكن أن نقول بأن المعرفة الموضوعية كتأويل مستمر تنمو بلا نضوب أو دون توقف.

إن الأنشطة أو العمليات التي يشملها المصطلح العام (فهم) هي أنشطة ذاتية أو شخصية أو نفسية، يجب تمييزها عن النتيجة (الأكثر أو الأقل نجاحًا) لهذه الأنشطة من نتيجتها في الحالة النهائية (وفي لحظة معينة) من الفهم والتأويل. وعلى الرغم من أن هذا التأويل يمكن أن يصير حالة ذاتية للفهم، إلا أنه يمكن أن يكون أيضًا موضوعًا للعالم الثالث، وبالتحديد يمكن أن يصبح نظرية،

(21) بوبر، النفس ودماغها، مصدر سابق، ص، 74.

(22) Popper, La Connaissance Objective, op, cit, P, 247.

(23) مذبوح، فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، مرجع سابق، ص، 194- 195.

وهذه الأخيرة -في اعتقاد بوبر- هي الأهم؛ نظرًا لكونها موضوعًا للعالم الثالث. إن التأويل سيظل دائمًا نظرية أو نوعًا من النظرية، ومثل كل النظريات، فهو راسخ في نظريات أخرى وفي أشياء أخرى من العالم الثالث، وبالتالي يمكن للمرء مناقشة مسألة التأويل ومزاياها، ولا سيما من حيث قيمتها لفهمنا التاريخي، كمسألة تنتمي إلى العالم الثالث. وفي خضم ذلك، يقترح بوبر أطروحة يمكن تعميمها تصلح لأي فعل شخصي من (المعرفة)، مفادها أن كل ما يمكننا قوله عن أهمية فعل المعرفة هو ضرورة تسليط الضوء على أشياء العالم الثالث لفعل محدد، وعلاقته بأشياء العالم الثالث الأخرى، سواء كانت حججًا تمس المشكلة أو أشياء معروفة[24].

على هذا الأساس، تقوم الفكرة الرئيسة عنده على اعتبار التفتح (بين العوالم) ضرورة منطقية إبستمولوجية، فالمعرفة كجزء لا يتجزأ من هذا الكون ليست كاملة ونهائية بل تنمو وتتطور، في جميع الأطوار يجب تصورها مفتوحة على النقد والنقاش لتعديلها وأحيانًا قد نرفضها ونستبدلها بمعرفة أخرى أفضل[25]. وفي تمثيله للمقاربة التطورية للمعرفة، يقول كارل بوبر: «من المؤكد أن الأنشطة أو السيرورات التي تنضوي تحت مفهوم الفهم هي أنشطة الحالات العقلية تؤدي في نهاية المطاف إلى عملية الفهم أو التأويل، علمًا أن هذا التأويل يمكن أن يكون ناتجًا عن فهم ذاتي كما يمكن أن يكون ناتجًا عن العالم الثالث»[26]. فكل تأويل عبارة عن نظرية أو بالأحرى هو سليل نظرية، وكل نظرية لها علاقة بنظريات أخرى وبموضوعات العالم الثالث، وقيمة التأويل من منظور بوبر هي في محاولة الوصول إلى رؤية شبه تقريبية للنظريات التي تنسج عن طريق الحجج النقدية[27]. هكذا لا يمكننا أن نفهم الفعل الذاتي الذي يؤدي إلى الفهم إلا بالعودة إلى العلاقات الوسيطة بين الذات وموضوعات العالم الثالث، بحيث إن كل فعل ذاتي للفهم هو متجسد في العالم الثالث. يمكن القول إذن إن النشاط المؤدي إلى الفهم لا يتأتى إلا من خلال سيرورات حسابية معقدة تحدث داخل الذات على موضوعات العالم الثالث، وذلك من أجل الوصول إلى قانون يفسر مضمون تلك الموضوعات[28].

(24) Popper, La Connaissance Objective, op, cit, P 258 – 259.

(25) مذبوح، المرجع السابق، فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، ص، 195.

(26) Popper, La Connaissance Objective, op, cit, P, 256.

(27) Ibid, p, 257.

(28) Ibid, p, 260.

ثالثًا: أنشطة الفهم الموضوعي وحل المشكلات

قيمة المشكلة وأهميتها:

حظيت (المشكلة) بأهمية كبيرة في مقاربة بوبر للعقل الموضوعي، بحيث إن الاصطدام المستمر والمباشر بالمشكلات يجعلنا دومًا أمام عمليات متكررة من التأويل والفهم، ومحاولات دائمة للتفكير لإيجاد حلول أنجع لها. لذا لم تعد المشكلة عائقًا إبستمولوجيًّا في مسيرة تطور المعرفة العلمية والإنسانية بقدر ما أصبحت أساسية وجوهرية في هذا النشاط البشري. وقد شكلت مسألة فهم النظريات العلمية وتحسين فهمنا لها باستمرار هاجس بوبر الأساس. ويعتقد أنه إذا أردنا أن نحوز أو نحصل على فهم واقعي لمشكل معطى، فنحن في حاجة إلى أكثر من تحليل لهذا المشكل. ولفهم كل المشكلات ولو مرة واحدة في حياتنا يجب علينا أن نكون صارمين وجديين في صراع مع مشكلة حية. وذلك لن يتحصل إلا من خلال محاولة فهمها وحلها، بل الفشل في إيجاد الحل. لقد طرح بوبر أسئلة بشكل متكرر وفي عدة مواضيع بل في مؤلفات مختلفة، السؤال الأول منها مرتبط بكيفية فهم نظرية علمية أو مشكلة معينة وتحسين فهمنا لها؟ بينما السؤال الثاني متعلق بـ«المشكلة الأساسية لفهم مشكلة» Le métaproblème de compréhension d'un problème، وكيف يمكننا أن نتعلم كيف نفهم مشكلة علمية؟ إن السؤال الثاني -حسب بوبر- أكثر تعقيدًا وذو أهمية كبيرة. في جميع الحالات، يعتقد بوبر أن السؤالين معًا يمثلان جوهر سيرورة الفهم لأن العلم يبدأ من المشكلات. إن تعلم فهم مشكل ما، يأتي من خلال محاولاتنا المستمرة لإيجاد الحلول للمشكلة التي نفشل دومًا في إيجاد حل لها. لنفترض عالمًا شابًّا واجه مشكلة لا يفهما، ما الذي في وسعه فعله؟ حتى إن لم يتمكن من فهمها، يمكنه في نظري أن يحاول إيجاد الحل ويمكنه كذلك أن ينتقد نفسه وينتقد الحل الذي وصل إليه بنفسه، فإذا لم يتمكن من ذلك، فيعرض الحل على الآخرين لكي ينتقدوه. بهذه الطريقة نكون قد اتخذنا الخطوة الأولى نحو تحديد مكمن الصعوبة، ونكون بذلك أيضًا قد اتخذنا الخطوة المهمة نحو فهم المشكلة. كما أن فهم المشكلة هو اكتشاف صعوبتها، وهو الأمر الذي لا يمكن -على حد تعبير بوبر- القيام به إلا باكتشاف سبب عدم نجاح بعض الحلول المسبقة. لذلك، فمن خلال محاولة حل مشكلة وفشلنا نتعلم الفهم كسيرورة. إن تعلم فهم المشكلة هو مسألة التعامل مع العناصر الهيكلية للعالم الثالث الموضوعي، والحصول على فهم حدسي للمشكلة هو التعرف على هذه العناصر والعلاقات المنطقية التي تحافظ

عليها فيما بينها. ويؤكد بوبر على أن هذا الأمر يشبه اكتساب الفهم البديهي لنظرية ما[29]. إننا هنا بصدد البناء وإعادة البناء، كل شخص هنا يمكنه مواجهة المشكلة بنفسه وبإمكانه فهمها للتفكير في الحل المناسب. وذلك من خلال الإلمام بشروطها وسياقها وظروفها، لهذا فعنصر الخبرة ذو قيمة كبيرة.

إن الفهم العميق لمحتوى ما، يتجلى بشكل واضح من خلال حل مشكلات متعلقة بهذا المحتوى[30]. فمسألة حلول المشكلات يتماشى بشكل موازٍ لعملية الفهم وأنشطة التأويل وذلك من حيث كونه نشاطًا نقديًّا يسعى دومًا إلى بناء الحقيقة، وبالتالي الوصول إلى حلول مؤقتة نسبية. هذه الحركة أو السيرورة في الفهم وحلول المشكلات جاءت كانعكاس للتطورية التي أثرت بشكل كبير في منهج وفلسفة بوبر النقدية. كما أن حل المشكلات يقوم على دحض الأخطاء ويعارض بذلك النزعة التبريرية الاستقرائية ومختلف نظريات الاعتقاد، فالمعرفة تنمو بالتجربة والخطأ وبالمفهوم البيداغوجي، عن طريق المحاولة والخطأ، وإبستمولوجيا بالتخمين والدحض. كل الأنشطة المعرفية للإنسان تفاعلات تنتج أفكارًا ومفاهيم جديدة من خلال إشراطات انتقائية وأنشطة تأويلية مبدعة، لذلك تحيا المعرفة في دائرة من المنافسة، وهذا يحيل على منطق التطور الذي يحكم الموجودات، حيث تواجه الأفكار منافسة ضارية فيما بينها عن طريق المحاجّة النقدية.

في الإطار نفسه والمرتبط بمشكلة الفهم وحلول المشكلات، يقدم بوبر فكرة أساسية مفادها أن نشاط الفهم وسيروراته مشابه بشكل تام للطريقة التي تحل بها المشكلات[31]. ويفتحنا هذا التصور على أفق آخر للتفكير والذي ليس غريبًا عن فلسفة بوبر حول الحياة والخبرة الذاتية، ولعل هذا ما جعله يخصص للغرض نفسه كتابًا بعنوان «الحياة بأسرها حلول لمشكلات»، حيث ينطلق من فكرة تعزيز الإبداع وحل المشكلات. هكذا تمر سيرورة حلول المسائل ونشاط الفهم على المنهج النقدي، بحيث إن نمو المعرفة مرتبط بالتفكير النقدي. «إن الطريقة التي تتقدم بها المعرفة بصفة عامة والمعرفة العلمية على وجه الخصوص يتم بواسطة توقعات وتخمينات غير قابلة للتبرير وأيضًا عن طريق حلول اجتهادية مؤقتة. أي: غير نهائية لمشكلاتنا بالحدوس»[32]. فتطور المعرفة حسب المفهوم البوبري يتم من خلال تقدمنا من مشكلات قديمة إلى مشكلات جديدة عن طريق الحدوس والتفنيدات. فهو

(29) Ibid, p,- 280 281.

(30) Phillipe Dessus, La théorie de la connaissance de Popper et ses implications pour l'éducation, Paru in Penser l'Education, 21, Rouen, 2007, p, 13.

(31) Popper, La Connaissance Objective, op, cit, p, 263.

(32) محمد محمد قاسم، كارل بوبر: نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989، ص، 146.

يؤسس لفلسفته على منطق الاكتشاف المفتوح على الدحض والتجاوز، وذلك يحيلنا على سريان النزعة التطورية البيولوجية على أطروحته الإبستمولوجية. هكذا يحيا بشكل أو بآخر أنموذج المعرفة التطورية والانتقاء الطبيعي للنظريات العلمية ومختلف أنماط المعرفة البشرية الأخرى.

يضيف بوبر بهذا الخصوص أن العلوم الطبيعية كالعلوم الاجتماعية، تنطلق من مشكلات. فهناك شيء يثير دهشتنا -كما ذهب فلاسفة اليونان قديمًا في النهج نفسه- لحل مثل هذه المشكلات تلجأ العلوم الطبيعية إلى منهج المحاولة والخطأ، وبصيغة أخرى، ذلك المنهج الذي يطرح مجموعة من الحلول للمشكلة وبعد ذلك يعمل على انتقاء الأخطاء ويستبعدها[33]. ومن هذا القبيل يطرح بوبر موقفًا يراهن فيه على أهمية النقد ونشاط الفهم في حلول المشكلات بقوله: «إن أطروحتي هي أننا إذا لم نسلم بأن المشكلات والنظريات هي موضوعات الدراسة والنقد، فلن نفهم أبدًا سلوك العلماء»[34].

يمتلك الإنسان ملكة الاستطلاع، مما يعني أن غريزة الاستكشاف أساس فطري متأصل في الإنسان مما يجعل هذا الأخير نشيطًا في استقصاء بيئته الطبيعية والاجتماعية. إننا مبدعون للمشكلات والمحللون لها. وفي مجال الإدراك الحسي يفضي هذا إلى فك رموز بشكل لا شعوري لا يخطئ تقريبًا. وفي المجال الثقافي يؤدي بنا إلى أن نتعلم الكلام، وفيما بعد نتعلم القراءة ونتفهم العلم والفن... إن القدرة على تعلم لغة وصفية وجدلية هي قدرة مؤسسة جينيًا، وخاصة بالإنسان وحده. فالأساس الجيني هو مركز التعلم الثقافي، أساس الإسهام الحضاري، والإسهام في تقاليد العالم الثالث[35]. فالتعلم (الذي يكون بالمحاولة والخطأ وحلول المشكلات) ليس بالرؤية والتأمل المباشر، بل يكون بالممارسة. بلغة بوبر، بالإسهام النشيط، نعمل على تعلم الأسلوب الذي نصنع به الموضوعات التي تشكل فلسفة العقل الموضوعي، ونتعلم كيف نفهمها.

ب - مشكلة الفهم الموضوعي

يوجه بوبر مجموعة من الاعتراضات لنظرية الفهم التي تؤسس مبادئها على العالم الثاني وحده، أي تلك النظرية التي تربط الفهم بوجهات نظر الذوات الدوغمائية، لهذا فكما انتقد تقعيد المعرفة العلمية على السيرورة الذاتية، انتقد أيضًا النظريات الهيرمينوطيقية المهيمنة في مجال العلوم

(33) كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشكلات، ترجمة: بهاء درويش، الاسكندرية، منشأة المعارف، 1994، ص، 27.
(34) بوبر، النفس ودماغها، مصدر سابق، ص، 76.
(35) المصدر نفسه، ص، 85.

الإنسانية، التي تتصور الفهم والتأويل وكل العمليات التأويلية بمثابة أنشطة ذاتية محضة[36]. وإن كان يعترض على النزعة الذاتية في الفهم، فإن ذلك لا يعني أنه ليس ثمة أي نشاط فردي أو نفسي في الممارسة التأويلية، بل لأن الهدف من النشاط التأويلي يمكن أن يكون موضوعًا للعالم الثالث، بمعنى أنه يمكن أن يكون نظرية علمية.

بخصوص السيرورة السيكولوجية للتفكير وأشياء العالم الثالث يقول بوبر: «حتى بين أولئك الذين يعترفون بضرورة تحليل الحالة النهائية للفهم (الذاتي) في صيغ العالم الثالث، هناك كما أخشى مَن سيعترضون على الأطروحة الموازية التي تتعلق بالنشاط الذاتي أو الفهم الشخصي: يعتقدون أنه لا يوجد شيء ممكن بدون إجراءات ذاتية مثل الفهم من خلال التعاطف أو التطابق par sympathie, ou empathie كنوع من المشاطرة الوجدانية أو إعادة تفعيل أو تمثيل تصرفات الآخرين. أو الجهد المبذول لوضع أنفسنا في مكان شخص آخر من خلال جعل أهدافهم ومشكلاتهم خاصة بنا[37].

يتمثل نشاط الفهم بالأساس في تطبيقه على موضوعات العالم الثالث، وفي هذا الخصوص إن نشاط الفهم يساير خطاطته المشهورة عن التخمينات والتفنيدات حيث يقول: إن الفهم يعني حل المشكلات[38]. على كل سيرورة تأويلية أن تخضع للخطاطة العامة لحل المشكلات عن طريق التخمينات والتفنيدات، وهي على الشكل التالي:

P1 ⇨ TS ⇨ EE ⇨ P2

P1: يقصد به المشكلة التي انطلقنا منها.

TS: يقصد به مجموعة من المحاولات التي نبذلها لحل المشكلات (وفي حالتنا هذه محاولات التأويل) وهذه المحاولات تقودنا إلى تجاوز الأخطاء التي عثرنا عليها.

EE: حل المشكلة.

P2: بعد حل المشكلة تظهر مشكلة جديدة أو أكثر[39].

تبين هذه الخطاطة الطابع الموضوعي للعملية التأويلية وسيرورتها عند بوبر، لأن كل فرد قادر على أن يناقش ويحكم على هذه العملية. بهذا المعنى لا يمكن فهم التأويل إلا في علاقة مع موضوعات العالم

(36) Popper, La Connaissance Objective, op, cit, pp , 256- 257.
(37) Ibid, p, 259.
(38) Dessus, op, cit, PP, 11.
(39) Popper, La Connaissance Objective, op, cit, PP, 198.

الثالث، فبالرغم من أن التأويل يحيل دائمًا إلى الذات، فإنه يحيل أيضًا على مجموعة من الحالات العقلية التي تؤسس اختيارها وأفعالها. يمكن القول، إن نظرية الفهم عند بوبر هي من مكونات العالم الثالث (المعرفة الموضوعية) وكل صور النشاط العقلي، ولا علاقة لها بالاعتقاد، بمعنى أن الفهم لا يمكن أن يرد إلى محتوى الشعور لأي ذات.

رابعًا: الفهم الموضوعي بما هو سيرورة نقدية تطورية

إذا تأملنا بتأنٍّ مشكلة الفهم في بنيتها الإبستمولوجية نخلص إلى أن هناك تماهيًا بين الفهم والنقد، هذا الأخير (أي: النقد العقلي) هو الذي يبعث الدينامية لسيرورة الفهم. إن النشاط العقلاني أو نشاط الفعل التأويلي للذات (العالم الثاني) يتوقف على امتلاك الحس النقدي لموضوعات ومشكلات اللغة والمعرفة (قضايا العالم الثالث). سنحاول في هذا الصدد ربط وتبيين البعد العلائقي بين سؤال الفهم والنقد عند بوبر وذلك بحكم الأهمية التي يحظى بها المفهومان في فلسفته. إن النقد لا يمكنه أن يتحصل دون فهم المشكلات التي تطرح بشكل دائم، وفهم كل الموضوعات المطروحة للفهم والتي يصنفها بوبر في دائرة العقل الموضوعي. فالتطور الذي يميز هذه المنتوجات الصادرة عن العقل البشري مطروحة للفهم بعد النقد والنشاط الهيرمينوطيقي. إن العالم الموضوعي هو المنطلق وإليه تعود نتائج تأويلاتنا، يؤثر ويتأثر وتعمل الذات (العالم الثاني) دور الوسط وتفهمه وتؤوله ثم نقده وتطويره. في مقابل ذلك، إن الفهم يختلف عن النقد، مختلفان رغم أن النقد يتطلب الفهم ويفترضه، غير أن الفهم يتقدم على النقد، بمعنى أن النقد يعقب نشاط الفهم. هذا ما يدفع إلى شرط أساسي، مفاده: إذا كان النقد يفترض الفهم، فإن الفهم لا يفترض النقد ويؤدي بالضرورة إليه. أما الخاصية التي يشترك فيها الفهم مع النقد عند بوبر هي خاصية السيرورة والصيرورة.

إن العمل التأويلي الذي عرضناه للتو يطرح مشكلة أساسية وهي مسألة الموضوعية، نظرًا للمفارقة التي تعترض نظرية بوبر في التأويل. فهي محكومة من جهة بالتطور المتواصل. في المقابل، إن العقل الذي يمثل عنصرًا محوريًّا في السيرورة، خاضع لحتمية التفاعل مع المادة، ومحكوم بأطر لغوية مسبقة. «ولنستمع إلى هيوم نفسه وهو يجمع دعواه الأساسية: «ولكن على الرغم من أن تفكيرنا يبدو كأنه يستمتع بحرية لا حدود لها، فحين فحصه عن كثب، [يكتشف المرء] أن التفكير محصور داخل

حدود ضيقة جدًّا، وأن كل هاتيك القوة الإبداعية للعقل لا تكشف إلا عن ملكة لاستحضار المادة المعطاة لنا عن طريق الحواس والخبرة، أو لنقلها، أو للإكثار أو للإقلال منها». إذن الوظيفة الوحيدة لعقلنا هي استثمار الوقائع»[40]. لأنه معطى ونتيجة في الوقت نفسه.

الواقع أن تلك السيرورة التناقضية-التوافقية هي جوهر فلسفة التأويل. «إن الهدف من التأويل interpretation هو التوفيق بين المتقابلات؛ وتوضيح أنها متساوقة coherent إن أمكن هذا، وتأسيس أنماط من التفكير قادرة على الجمع بينما دون تشويه لها. ويصعب تخيل عمل ذي طبيعة فلسفية أكثر من ذلك، لأنه يتمخض في النهاية عن معرفة طريقة التفكير بشأن العالم»[41]. ونقطة التمفصل التي تتدخل فيها الإبستمولوجيا هي البحث عن الموضوعية في الحلقة كلها. إن التأويل حركة وتركيب. «انسجام جميع الخاصيات والأجزاء مع الكل يؤسس معيار الدقة في الفهم. انعدام هذا الانسجام يعني إخفاق الفهم. بيد أن شلايماخر قد ميز هذه الحلقة التأويلية للكل والأجزاء حسب العتبة الموضوعية والعتبة الذاتية. مثلما أن اللفظ (الجزء) يتقيد بسياق الجملة، فإن النص بدوره جزء لا يتجزأ من الكل (الفنون الأدبية) أو الأدب برمته»[42]. لذلك تمثل حركية التأويل وتمفصلاته القاعدة والمبدأ، والنظر إليه من حيث الترابطات القائمة على (الحوار) بين الأجزاء لتستمر في تواصل سري وعجيب بين العوالم.

يتبين أن التأويل بناء متواصل ومشروع ناقص منفتح دومًا على المستقبل. فالفهم الحاصل والذي ينبغي أن نعمل به، هو الذي يمكن أن نحاول تحسينه إلى أبعد مدى[43]. إن التأويل إذن، سيرورة متوالية تتوافق مع طبيعة القضايا الموضوعية للعالم الثالث، وهذا ما يقصده بوبر حينما قال: «تتسم النظريات العلمية بالتغير الدائم، ولا يرجع هذا لمجرد الصدفة، وإنما هو أمر لا بد من توقعه وفقًا لتصويرنا للعلم الإمبريقي»[44]. هذه الخاصية التطورية للنظريات العلمية وكل إبداعات الإنسان الفكرية والثقافية تدل على أن الممارسة الهيرمينوطيقية غير محدودة.

---

(40) رولان أومنيس، فلسفة الكوانتم: فهم العلم المعاصر وتأويله، ترجمة: أحمد فؤاد باشا ويمنى طريف الخولي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة عدد أبريل 2008، ص، 108.

(41) المرجع نفسه، ص، 199.

(42) هانس غيورغ غادامير، فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، ترجمة: محمد شوقي الزين، الجزائر، منشورات الاختلاف، الطبعة الثانية 2006، ص، 120.

(43) كارل بوبر، بحثًا عن عالم أفضل، ترجمة: أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1999، ص، 202.

(44) كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، ترجمة وتقديم: ماهر عبد القادر محمد، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1986. ص، 108.

إن تحسين أساليب تأويلنا يصاحبه تطور في المعرفة والإبداع البشري، وكل مجهوداتنا –حسب بوبر- تقربنا من الحقيقة ولكننا لن نمتلكها، على عادته يكرر عبارة منطوقها «لا نستطيع أن نعرف»، ويقول أيضًا إننا لا نستطيع أن نعرف أو أن نفهم كل ما تتضمنه نظرية ما، أو ما يلزم عنها أو ندرك مغزاها إدراكًا كاملًا. إن محاولاتنا لفهم جميع قضايا العقل الموضوعي يظل جزئيًّا، لذلك يبقى مطلب الفهم مطلبًا يقتضي جهدًا مستمرًّا (لمطاردة) كل المشكلات والبحث عن حلول تلوى الأخرى. فالمهمة المنوطة بالإنسان، هي إدراك الواقع وتحسين فهمنا حوله[45]. لكن هذا الأمر يدفع إلى التشكيك في القواعد الصلبة للقيم والحقيقة والذوق ويضع إمكانات العقل البشري في وضع حرج. إن القول بعجز الإنسان على بناء حقيقة ما وتأصيل ما، يؤدي في النهاية إلى العدمية، وتفكيك دون بناء للقيم الإيجابية.

إن تصور بوبر كهذا، وتظاهره بالجهل، ينهل من مرجعية يونانية؛ حيث حاول اقتفاء نهج سقراط وعبارته الشهيرة «كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئًا». يقول بوبر عن سقراط، والذي يعتبر نفسه تلميذًا له، فيما يتعلق بنظرية المعرفة: «كان سيدي الذي علمني كم هو قليل.. قليل، ذلك القدر الذي نعرفه، وأن أي حكمة نبتغيها ليست سوى إدراك –يتعاظم مع مرور الوقت– بما لدينا من جهل لا حدود له»[46]. هذا طبعًا ما يضمن ويدفع نحو البحث المستمر، كما أن هذه المسألة إيجابية من حيث كونها مصدرًا للتفتح الهيرمينوطيقي ومشروعيته. غير أننا من ناحية أخرى، وبحكم ما يمكن أن نسميه بالتواضع الفلسفي والمعرفي، يضع بوبر نفسه في سهم النقد حيث يُنعت أحيانًا بالشكاك المفرط في شكه، ونزوع كهذا يحيل على عجز عقل الإنسان عن بناء الحقيقة أو المعرفة بأي طريقة من الطرائق. إن القول مثلًا: «كل تجربة في الحقيقة تجربة تأويلية»، أو كما صرح نيتشه ذات يوم قائلًا: «لا يوجد وقائع وإنّما فقط تأويلات» يحفز بعض الأطروحات العدمية كتلك التي يعرضها فاتيمو، من خلال إعادته قراءة الهرمينوطيقا ووصفها بالفكر العدمي. إنما مثل هذه القراءة وتلك التي أعلن عنها نيتشه لها أبعاد (نبيلة) إن صح هذا القول، ترمي إلى بناء وعي يقظ، خاصة أن الفكر الغربي المعاصر يتجه نحو تكريس السلطة والبعد الأحادي وإرادة توجيه الوعي نحو الحقيقة كصناعة وتشكيل[47]. وبالتالي، إن «السيرورة العدمية والتأويلية كما يعالجها فاتيمو هي، قبل كل شيء، انتفاء التأسيس أو

(45) قاسم، كارل بوبر: نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، مرجع سابق، ص، 174.
(46) المرجع نفسه، ص، 21.
(47) محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، مرجع سابق، ص 18.

المبدأ أو الأصل»[48]. وهذه العدمية ستؤدي إلى نزع القيمة من القيم وتفكيكها إلى غير رجعة، وتدفع الهرمينوطيقا في منحدر النزوعات المتطرفة والدخول في لعبة مفتوحة. وعلى هذا الأساس، لا بد من تدخل إبستمولوجي في السيرورة التأويلية كلها. ومواجهة بعض المحاولات الرامية إلى إحداث حواجز متينة بين الإبستمولوجيا والهرمينوطيقا أو الفصل بين الوجودي والمعرفي كما نص على ذلك ريتشارد رورتي وهايدغر وغادامير. وسعيهم إلى تحرير الهرمينوطيقا من الصرامة الإبستمولوجية حتى تتخذ صورة شاعرية وخطابية تصبح فيها اللغة صاحبة الكلمة[49]. خاصة أن اللغة هي محور الوجود ومركز التفكير. بل إنها الطابع الأساسي لوجودنا، وتمثل الشكل الشمولي لبنية العالم. وبالتالي تغدو تفوهات العلوم نصب أعيننا باستمرار[50].

وفي السياق ذاته، تمثل اللغة المجال الذي تنكشف فيه الحقيقة، فخبرتنا للعالم تؤديها اللغة دائمًا؛ بحيث «نكون مؤوله» من خلال كونها ملائمة بشكل واعي. والخبرة اللسانية تعد مطلقة إذا ما قورنت بحضور الأشياء التي يبحثها العلم ويكتسب (موضوعيته) من خلاله، وهي أيضًا جزء من تلك الجوانب النسبية التي تُستوعَب من خلال الإشارة أو إحالة اللغة إلى العالم[51]. فنحن البشر، نخاطب العالم الذي نحيل عليه ونشير إليه من خلال اللغة، هي الوسط الذي يلاقينا، وبعبارة مارتن هايدغر: «اللغة مأوى الوجود». فنشاط الفلسفة الهرمينوطيقية يتضح في ضوء فهم اللغة التي تخاطبنا من داخل الوجود. وهي الواسطة التي من خلالها يحدث الحوار، فيها ينكشف العالم ونستشعره، أي الفضاء الذي يطوق ويوحد المشتركين باللعبة التي يقامرون فيها بتحيزاتهم. فقضايا الواقع كلها -تقريبًا- تدخل في اللغة، فلا يوجد عالم خارج نطاقها[52]. وبالتالي فإن تلسين الوجود يعد مدخلًا لفهمه، ففي اللغة تلتقي كثير من الأبعاد، فهي مسرح السيرورات الذهنية الفنية والعلمية والأدبية وغيرها. كما تلتقي فيها أنماط وجودية ومعرفية وقيمية في انسجام عجيب، وهو ما ينقض مبدأ الفصل (المغرض) والمفرط بين نمط الوجود ونمط المعرفة. هذه الفكرة تجدد التساؤل حيال إمكانية وجدوى الفصل بين الإبستمولوجي والهيرمينوطيقي، بين النظري والواقعي.

(48) محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، مرجع سابق، ص، 20.
(49) المرجع نفسه، ص، 21.
(50) خالدة حامد، عصر الهرمينوطيقا: أبحاث في التأويل، بيروت، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، 2014، ص، 101.
(51) المرجع نفسه، ص، 199.
(52) المرجع نفسه، ص، 196-197.

خاتمة

هكذا تضعنا مشكلة الفهم عند بوبر أمام مفترق الطرق، طريق أول يمكن نعته بالسلبي لأنه يحيلنا على نوع من التشاؤم المعرفي، بحيث كل مجهودات الإنسان تفضي إلى استحالة تحقق الفهم والمعرفة الكاملة. أما الطريق الثاني والإيجابي يحيلنا على تحفيزه للبحث والسعي الدائم من أجل بلوغ الفهم والنقد المستمر للمعرفة الإنسانية ومحتويات العالم الثالث، إنه المنحى الذي ذهبت إليه الهيرمينوطيقا وفلسفات التأويل عمومًا. إن العالم الثالث مفتوح باستمرار على الفهم والتأويل؛ لأن الوجود البشري يتميز بالتغير والإبداع والتطور، وهو ما يفتح إمكانيات جديدة للفهم وتضارب التأويلات وتدافع الحجج النقدية. أما ادعاء الفهم المطلق وامتلاك المعرفة واليقين، يؤدي حتمًا إلى نزعة منغلقة دوغمائية. وتبرير المعرفة، لا تجاوزها، يؤدي أيضًا إلى التسلط ورفض الرأي الآخر والدوس على الموضوعية.

يبدو مما سبق أن أفق المعرفة العلمية ونظرياتها بل ومفاهيمها ومناهجها أيضًا، هو الاتجاه نحو الهيرمينوطيقا، فنتحول من الإبستمولوجيا نحو الهيرمينوطيقا. يمكننا أن نتخيل مصير العلم اليوم وحصيلته حيث اصطدم بالغموض والتعقيد واللاتوازن والفوضى. ازداد حجم الاضطراب وتوسعت الدائرة التأويلية كأفق مفتوح على إمكانات جديدة من الفهم عبر المحاولة والخطأ، إن تصوراتنا للعالم، لا تخلو من نزوع التأويل، فهي في نهاية المطاف تخمينات متضمن في بنيتها دوافع لا شعورية بالمفهوم الباشلاري، لأن الإنسان هو من يُشيّدها وفقًا لقوالب لغوية ومنطقية وفرضيات قابلة للتعديل والتطور والتفنيد.

لا ينبغي النظر إلى تصوراتنا للعالم بوصفها حقائق مطلقة، بل إنها دومًا على حافة الخطأ؛ إن الحقيقة قيمة مصححة مفتوحة على إمكانات وتأويلات جديدة، ليس هناك إلا تخمينات وافتراضات. يمثل تاريخ العلم لحظات متعاقبة لم يعرف فيها الكشف العلمي توقفًا، فالمهمة الرئيسة للمنهج العلمي هي تعزيز فهمنا للأشياء من أجل تجاوزها نحو الأفضل باستمرار وليس تفسيرها فقط أو تبريرها وفرضها كيقينيات. يمكن الاقتراب من الصدق، لكن يستبعد امتلاكه كليًا، وغير متاح لنا. كثيرًا ما يتربص بنا الخطأ ويشكل مناسبة لنقل الحقيقة والتأويل من مجالها الضيق إلى مجال أرحب يسمح بالتداول والنقاش النقدي، وبالتالي يسمح بدراستها إبستمولوجيًا بمنأى عن الميول الذاتية المحضة، وبمعزل عن الأحكام العاطفية والقيم الذاتية الصرفة. بالتالي إن ما يجعل التأويل موضوعيًا، هو انفتاحه المستمر على النقد والتعديل والتفنيد. وهذا الأمر تؤدي فيه اللغة دورًا حاسمًا، وهي صورة من صور

البعد الإبستمولوجي في التأويل، فاللغة إذن، (كمنفى لساني في التأويل عند بوبر) شكلت جسرًا نعبره في اتجاه المعرفة وموضوعات العقل الموضوعي وسائر محتوياته، إنها -كما رأينا سابقًا- أداة محورية في العالم الثالث وفي فهم مختلف للأنماط الإبداعية للإنسان وتراثه التاريخي. إن اللغة باختصار، ليست مجرد تعابير صماء وقواعد جامدة، بل هي طاقة حاملة للدلالات ومفعمة بالمعاني.

إن استعمالنا وفهمنا للغة ووظائفها يعد المدخل الأساس الذي سيُمكننا من ولوج عمق المشكلات الكوسمولوجية، وبها نفهم العالم، وأنفسنا وذاكرتنا. إنها أهم ما ابتكره العقل البشري، فالمهارة الإبداعية التي يتصف بها العقل الإنساني، شكلت الركيزة الأساس لاكتشاف محاولات جديدة للفهم والتأويل وحلول جديدة للمسائل والبحث عن حلول أنجع لها. وفهم الكون من حيث هو سيرورة مفتوحة. ومن هذا المنطلق، قدم لنا بوبر مجموعة من الأدوات الإبستمولوجيا لتطوير الفعل الهيرمينوطيقي وتجاوز المنطق الذاتي الدوغمائي في المعرفة، وبذلك فتحت لنا نظريته في الفهم والتأويل أبوابًا جديدة للتداول والنقاش النقدي بعيدًا عن السلطة الذاتية في احتكار التأويل وحيازته، كما وضعتنا أمام أبعاد جديدة للحياة الفنية والإبداعية. ولهذا تعد أدوات الفهم والتأويل واللغة عند بوبر كلها وسائل لتفكيك بنية الوجود البشري وتحسينه وحل المشكلات والسعي وراء الكشف عن عالم أفضل، وهو أيضًا إبداع لإمكانات جديدة للحياة الاجتماعية والثقافية، وخلق لعالم مفتوح يتجاوز كل الأنساق المغلقة ونبذ مختلف أشكال التعصب. وتعميق وعينا بالعالم وفهمنا له من أجل تغييره وتحسينه باستمرار.

حقًّا لم يشيد كارل بوبر نظرية هيرمينوطيقية متكاملة الأركان كما نجدها عند غادامير وهايدغر وبول ريكور وشلايرماخر ودلتاي وغيرهم، لأن بوبر كان ذا نزعة منطقية اختبارية أكثر مما هو ذو اتجاه تأويلي. لكن ذلك لم يكن مانعًا في مجادلته لبعض القضايا المتعلقة بالفهم والتأويل، خاصة في مجال الإنسانيات وفيما يرتبط منها ببعض العوائق التي تعترض التنبؤ فيها، وتعقدها وديناميكيتها. لكننا أدركنا معه ومن خلال رحلتنا في العقل الموضوعي أن الفهم والتأويل يحتل مكانة مهمة عنده. إن التأويل كنظرية علمية -حسب تعبير بوبر- هو مشروع غير مكتمل يفترض العمل دومًا على تحسينه. بينما البعد الإبستمولوجي في التأويل يكمن في مجمل الآليات التي أرسى بها كارل بوبر نظرية في العقل الموضوعي، وهي أدوات إبستمولوجية تسهم في بناء تأويل وفهم محتويات العالم الثالث بشكل موضوعي، أو بصيغة أخرى، تمكننا من بناء فهم مؤسس على أنشطة عقلية واعية. هذا ما يجعل الفعل الإبستمولوجي وآلياته النقدية تحركها دافعية تأويلية. وبالتالي، فالإضافة الأساسية التي قدمها بوبر من الأدوات

الإبستمولوجية والعقلانية التي وظفها، شكلت إسهامًا نوعيًّا في المجال الهيرمينوطقي، لم تتم تفاصيله مما يُبقيه مشروعًا غير مكتمل.

قائمة المصادر والمراجع

1. أومنيس رولان، فلسفة الكوانتم: فهم العلم المعاصر وتأويله، ترجمة: أحمد فؤاد باشا ويمنى طريف الخولي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة عدد أبريل 2008.
2. بوبر كارل، الحياة بأسرها حلول لمشكلات، ترجمة: بهاء درويش، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1994.
3. بوبر كارل، النفس ودماغها، ترجمة: عادل مصطفى، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2012.
4. بوبر كارل، بحثًا عن عالم أفضل، ترجمة: أحمد مستجير، القاهرة، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1999.
5. بوبر كارل، منطق الكشف العلمي، ترجمة وتقديم: ماهر عبد القادر محمد، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1986.
6. حامد خالدة، عصر الهرمينوطيقا: أبحاث في التأويل، بيروت، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، 2014.
7. الزين محمد شوقي، تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر العربي المعاصر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2002.
8. غادامير هانس غيورغ، فلسفة التأويل الأصول. المبادئ. الأهداف، ترجمة: محمد شوقي الزين، الجزائر، منشورات الاختلاف، الطبعة الثانية 2006.
9. لخضر مذبوح، فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، الجزائر، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2000.
10. محمد محمد قاسم، كارل بوبر: نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989.

-Arabic reference

1. awmnys Rūlān, Falsafat alkwāntm : fahm al-ʿIlm al-muʿāṣir wt'wylh, Ed: Aḥmad Fu'ād Bāshā wymná Ṭarīf al-Khūlī, al-Kuwayt, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Ādāb, ʿĀlam al-Maʿrifah ʿadad Abrīl 2008.

2. bwbr Kārl, al-ḥayāh b'srhā ḥulūl li-mushkilāt, Ed: Bahā' Darwīsh, al-Iskandarīyah, Munsha'at al-Maʿārif, 1994.

3. bwbr Kārl, al-nafs wdmāghhā,Ed: ʿĀdil Muṣṭafá, al-Qāhirah, ru'yah lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, St: 1, 2012.

4. bwbr Kārl, bḥthan ʿan ʿĀlam afḍal, Ed: Aḥmad Mustajīr, al-Qāhirah, al-hay'ah al-Miṣrīyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, 1999.

5. bwbr Kārl, Manṭiq al-kashf al-ʿIlmī,Ed: Māhir ʿAbd al-Qādir Muḥammad, Bayrūt, Dār al-Nahḍah al-ʿArabīyah lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr, 1986.

6. Ḥāmid Khālidah, ʿaṣr al-Harmīnūṭīqā : Abḥāth fī al-ta'wīl, Bayrūt, Manshūrāt al-Jamal,St1 , 2014.

7. al-Zayn Muḥammad Shawqī, Ta'wīlāt wa-tafkīkāt fuṣūl fī al-Fikr al-ʿArabī al-muʿāṣir, Bayrūt, al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, St1 , 2002.

8. Ghādāmīr Hāns ghywrgh, Falsafat al-ta'wīl al-uṣūl. al-mabādi'. al-ahdāf, Ed: Muḥammad Shawqī al-Zayn, al-Jazā'ir, Manshūrāt al-Ikhtilāf, St2, 2006.

9. Lakḥḍar mdhbwḥ, fikrat altfṭḥ fī Falsafat Kārl bwbr, al-Jazā'ir, Manshūrāt al-Ikhtilāf, St1, 2000.

10. Muḥammad Muḥammad Qāsim, Kārl bwbr : Naẓarīyat al-Maʿrifah fī ḍaw' al-manhaj al-ʿIlmī, al-Iskandarīyah, Dār al-Maʿrifah al-Jāmiʿīyah, 1989.

المراجع الأجنبية:

1. Dessus Phillipe, La théorie de la connaissance de Popper et ses implications pour l'éducation, Paru in Penser l'Education, 21, Rouen, 2007. (pp.19-31).
2. Popper Karl, Conjectures and Refutations ,The Growth of Scientific, Knowledge, London, Routledge and Kegan Paul, Fourth Ed. 1963.
3. Popper Karl, La Connaissance Objective, Une approche évolutionniste, Traduit de l'anglais et préfacé par Jean-jacques ROSAT, Paris, Flammarion, 1998.